أمريكا
رؤية
من
الداخل

الإرهاب الإسلامى صناعة أمريكية !

obeikandl.com

obeikandl.com

ما هو موقف السياسة الأمريكية تجاه الإسلام؟

ستيفن زونز Stephen Zunes الأستاذ بجامعة «سان فرانسيسكو» كتب بحثا فى هـذا الموضوع ملخصه: إن الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين فى الغرب عموما، كما فى أمريكا صورة قبيحة، وذلك بالرغم من وجود تيارات إسلامية معتدلة وحركات فى العالم الإسلامى، لكن ما يشغل الأمريكيين، هو النمو الملحوظ للحركات الإسلامية الراديكالية فى الشرق الأوسط، وقد أصبح (الإسلام السياسى) فى مقدمة اهتمامات المسئولين عن صناعة السياسة الأمريكية.

والإدارة الأمريكية تعلم أن الأغلبية العظمى من المسلمين يعارضون الجماعات الإرهابية، ويرفضون التعصب الدينى، واضطهاد المرأة، ولكن الفكرة الشائعة فى الرأى العام الغربى عن العقيدة الإسلامية عكس ذلك، نتيجة لما تقدمه وسائل الإعلام باستمرار، وبإلحاح، من أخبار وتحليلات تؤدى إلى النفور من المسلمين، وكذلك فإن الثقافة الشعبية معادية للإسلام، وبعض المسئولين فى الحكومة يعملون على تغذية هذا العداء بما يصدر من تصريحات فيها إدانة للعالم الإسلامى لعدم وجود الديمقراطية، وانتشار الفساد، وإذلال المرأة، وارتباط المسلمين بالماضى ودفاعهم عن التخلف ورفضهم للحداثة، وعجزهم عن تحقيق تقدم علمى وتكنولوجى.

والإدارة الأمريكية يشغلها موضوع واحد، هو: كيف ظهرت وانتشرت هذه التيارات والجماعات المتطرفة بين الشباب، وهم قلة من حيث العدد، ولكنهم يمثلون خطرا حقيقيا على المسلمين، كما هم خطر على الغرب، لأنهم يهددون مجتمعاتهم، كما يهددون المجتمعات الغربية، وأمريكا محتاجة إلى فهم هذه التيارات والجماعات والأيديولوجية المتطرفة التى يعتنقونها، والتكتيكات العدوانية التى يتبعونها، حتى تكون قادرة على مقاومة هذا (العدوان الإسلامى) بأسلوب فعّال. وهناك من يرى أن ظهور هذه التيارات والجماعات يرجع إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية مثل

انتشار الفقر، والبطالة، والأمية، ويسهل على قادة هذه الجماعات إقناع أتباعهم بأن الولايات المتحدة هى المسئولة عن حالة البؤس التى يقاسون منها، وهؤلاء القادة لا يرون فى المجتمع الأمريكى أية جوانب إيجابية، ويرون أنه مجتمع ملىء بالشرور والانحلال، ويغفلون ما فى هذا المجتمع من قيم إيجابية ساعدت على قوة وتقدم أمريكا مثل الديمقراطية، والحرية الفردية، والنظام، والالتزام بالقانون، والجدية فى العمل، والازدهار الاقتصادى، وهؤلاء المتعصبون يقللون من هذه الإيجابيات ولا يتحدثون إلا عن الجوانب السيئة من الثقافة الأمريكية مثل: النزعة العسكرية العدوانية، والمادية، والعنصرية.. الخ.

ويتحدث المسلمون فقط عن ازدهار العلوم والحضارة فى العالم الإسلامى فى القرون الماضية ، وعن إسهام الحضارة العربية الإسلامية لأوربا فى الخروج من عصورها المظلمة، ويكرر المسلمون أن الغرب عموما ينظر إلى الشعوب الإسلامية نظرة عدائية منذ الحملات الصليبية، مروراً بفترة الاستعمار الأوربى، حتى العقوبات وعمليات القصف المستمرة ضد العراق، ويقدمون إحصائيات تدل على أن المسيحيين الغربيين قتلوا من المسلمين أكثر مما قتل المسلمون من المسيحيين على مدى العصور، وهناك عوامل تغذى شعور العداء: العامل الأول هو إحساس المسلمين القوى بالتاريخ، والعامل الثانى هو استخدام أمريكا القوة العسكرية وتهديدها الدائم باستخدامها، ويفرض العقوبات، ومساندتها لحكومات معادية لشعوبها.. كل ذلك أدى إلى ظهور رد فعل شعبى يأخذ دائماً شكل التطرف الدينى. وعندما يفقد شعب هويته بسبب الاحتلال، أو بسبب تدهور أوضاعه الاقتصادية، أو لأسباب أخرى، ينجذب هذا الشعب نحو اعتناق أفكار راديكالية يرى أن فيها الخلاص مما يعانى منه، وأنها هى التى سوف تساعده على إعادة بناء ما تهدم من حياته وحياة مجتمعه، وهنا يظهر دور المسجد، والمسجد هو أهم الثوابت فى حياة المسلمين، خاصة عندما تمر بهم أزمات اجتماعية كبيرة، ففى هذه الأوقات يظهر الإسلام على أنه (المنقذ) بما فيه من دعوة إلى العدالة الاجتماعية، وإلزام للسلطة الحاكمة بالعدل، وتربية الأفراد على الالتزام بسلوك أخلاقى

لا يحيد عن طريق الفضيلة، وأيضا بما فيه من دعوة لمقاومة الظلم والظالمين، والحركات الإسلامية لم تكن دائماً تياراً واحداً، ولكنها كانت منذ بدايتها منقسمة إلى قسمين غير متساويين فى عدد أتباع كل منهما، قسم رجعى، وقسم تقدمى.

▣ ▣ ▣

والمهم أن أمريكا استخدمت تهديدات من التطرف الإسلامى سلاحا لصالحها، لتبرير سياستها بالتدخل سياسيا وعسكريا واقتصاديا فى الدول العربية والإسلامية، مع أنها هى التى ساعدت المتشددين الإسلاميين عندما كانت تستخدمهم لتحقيق المصالح الأمريكية، كما فعلت فى أفغانستان، وباكستان، ودول إسلامية أخرى. وفى نفس الوقت فإن الحركات الإسلامية المتطرفة تظهر دائما كرد فعل مباشر للسياسات الأمريكية، مثلما حدث عندما أطاحت المخابرات الأمريكية فى عام ١٩٥٣ بالحكومة الإسلامية المعتدلة فى إيران التى كان يرأسها محمد مصدق لمجرد أنه أعلن أن بترول إيران سيكون ملكا لإيران وقام بتأميم البترول، وبعد الانقلاب الذى دبرته المخابرات الأمريكية وأعادت إلى الحكم شاه إيران محمد رضا بهلوى كانت هى السند الوحيد لنظام حكمه الاستبدادى الذى نهب ثروة الشعب، مما كان السبب المباشر للثورة الإسلامية بزعامة الخومينى الذى تحول إلى عدو لأمريكا. وساندت أمريكا حكم النميرى فى السودان الذى استمر ١٦ عاما، وأدى إلى تدمير الكثير من أركان المجتمع المدنى فى السودان، وكان ذلك هو السبب المباشر لقيام انقلاب عام ١٩٨٩ الذى قاده إسلاميون متشددون أطاحوا بالديمقراطية الوليدة، وكذلك قامت أمريكا فى لبنان بالعمل على تدمير الفصائل الخاضعة لقيادة مسلمين معتدلين، نتيجة لعمليات الغزو الإسرائيلى للبنان الذى ساندته، وعملية احتلال الجيش الأمريكى ذاته للبنان، وقد أدى ذلك إلى فراغ إسلامى، فظهر حزب الله، بعد نزع أسلحة معظم الميليشيات الأخرى، واليوم تشكو أمريكا من حزب الله، وتضعه فى قائمة الجماعات الإرهابية!

▣ ▣ ▣

يقول ستيفن زونز بعد هذا التحليل: إن جذور الراديكالية الإسلامية تتمثل فى عدم المساواة، وعدم وجود عدالة اجتماعية، والاحتلال العسكرى الإسرائيلى، والنظم غير الديمقراطية، ومساندة أمريكا لهذه الأوضاع، مما جعل الحركات الإسلامية الراديكالية تظهر وتتوجه إلى أمريكا لتحميلها المسئولية عما وصلت إليه الأحوال فى هذه الدول الإسلامية. ومما يثير السخرية أن الولايات المتحدة ساندت فعلاً الحركات والحكومات الإسلامية المتشددة، وهى التى تولت إمداد الجماعات المتطرفة فى أفغانستان بالأموال والأسلحة لمقاومة الاحتلال السوفيتى، وتلقى عدد غير قليل من أشهر الإرهابيين تدريبهم على يد خبراء المخابرات الأمريكية، ومنهم معظم أتباع أسامة بن لادن، وظلت أمريكا هى القوة التى تدعم الجماعات الإسلامية فى أفغانستان، بالرغم من التقارير المروعة عن النزعة الدينية الاستبدادية الثيوقراطية لنظام حكم طالبان الذى تجاوز وحشية نظام الحكم الشيوعى فى الثمانينات، ولم تظهر الولايات المتحدة معارضة لنظام طالبان، إلى أن طالبته بتسليم أسامة بن لادن، وأعلن زعيم طالبان الملا محمد عمر العصيان ورفض الطلب الأمريكى! وفى الوقت الحالى تحتفظ الولايات المتحدة بتعاون استراتيجى قوى مع نظم حكم متشددة وتمدها بالأسلحة والتدريب وبالتواجد العسكرى الأمريكى فى أراضيها، وتسكت على ما فيها من أفكار وممارسات ثم تعلن أمريكا بعد ذلك أنها تتعارض مع قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، ويمثل الوجود العسكرى الأمريكى فى أراضى الدول الإسلامية استفزازا لمشاعر المواطنين ويستوى فى ذلك المتطرفون وغير المتطرفين، وهذا يؤدى إلى وجود الحركات المتطرفة التى تمثل المعارضة السرية العنيفة للسياسات الأمريكية. وتظهر الانتهازية فى السياسة الأمريكية فى تحالفها مع رؤساء الأحزاب الشيوعية فى بعض الجمهوريات السوفيتية السابقة ما دامت هذه الأحزاب تقف ضد التيارات الإسلامية فيها، مع أن الحركات الإسلامية فى كثير من جمهوريات آسيا الوسطى تعتنق أفكارا تقدمية ومعتدلة إلى حد ما وتنتشر فيها الجماعات الصوفية المعارضة للعنف، والداعية إلى الزهد، والمتفرغة للعبادة.

ثم إن المسلمين يحمّلون أمريكا المسئولية عن المذابح التى قُتل فيها المسلمون المدنيون فى البوسنة على يد الصرب، وفى فلسطين على يد قوات الاحتلال الإسرائيلى،

وفى العراق نتيجة القصف الأمريكى والعقوبات الاقتصادية، وَقُتِلَ المدنيون اللبنانيون على يد الإسرائيليين فى مذبحة قانا وغيرها.. وملف الضحايا من المدنيين المسلمين متضخم والاتهام دائماً موجه إلى أمريكا.

▣ ▣ ▣

بعد ذلك يصل ستيفن زونز إلى القول بأن أمريكا هى المسئولة عن نشأة حزب حماس، والجهاد الإسلامى، والحركات المماثلة فى فلسطين، لأن الفلسطينيين كانوا تاريخيا أكثر تسامحا وقبولاً للتعددية من غيرهم من العرب، ولم يظهر المتطرفون الإسلاميون أبداً كعامل مؤثر فى السياسة اللبنانية إلا بعد الغزو الإسرائيلى للبنان بمساندة أمريكا فى عام ١٩٨٢ واحتلال إسرائيل جنوب لبنان لمدة ٢٢ عاما.!

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حالة (الاضطراب الاجتماعى) فى الدول الإسلامية، ويُرجعها إلى التفاوت فى التنمية الاقتصادية، وإصرار أمريكا على فرض العولمة وفقا لإرادتها وبالنموذج الأمريكى، بينما ساعدت أمريكا على تكوين جماعات من أصحاب الثروات بسياساتها الاقتصادية غير المنضبطة، وأدى التفاوت فى الثروات إلى وجود فجوة اجتماعية وحالة من التذمر والسلبية، ودفع الفقر إلى تزايد الهجرة من هذه الدول، هجرة داخلية غير منظمة وغير منضبطة أحدثت نوعا من الاضطراب الاجتماعى، وهجرة إلى الخارج أدت إلى ظهور المتطرفين فى أوروبا وأمريكا، وقد لا تكون أمريكا وحدها هى المسئولة عن هذه الحالة التى وصلت إليها الحركات الإسلامية المتطرفة، وتكون للسياسات الاقتصادية التى طبقتها الحكومات الإسلامية نصيب من المسئولية، ولسياسات الاستعمار الفرنسى والبريطانى للدول الإسلامية أيضا نصيب، إلا أن أمريكا الآن هى المتهم الأول فى نظر الجماعات المتطرفة.. بل فى نظر المسلمين غير المتطرفين أيضا نتيجة لسياساتها القائمة على الإفراط فى القوة، والاستهانة بحقوق الشعوب، وعدم احترام القوانين الدولية، وتحدى الشرعية الدولية، وهى بذلك فى نظرهم نموذج للتطرف، واعتماد الإرهاب كوسيلة لفرض إرادتها على

الآخرين!! والولايات المتحدة الآن تستخدم الحل العسكرى لمقاومة الحركات الإسلامية، وتعلن أن (أمريكا فى حرب) مع هذه الجماعات والرد الطبيعى أن تكون هذه الجماعات فى حرب أيضا مع أمريكا.

▣ ▣ ▣

ولن ينسى المسلمون أن الولايات المتحدة هى التى شجعت حلف شمال الأطلنطى على اتخاذ قرار باعتبار (الإسلام هو العدو) للغرب بعد انتهاء العدو المتمثل فى الاتحاد السوفيتى الذى كانت تعتبره أمريكا (امبراطورية الشر) وبدأ حلف الأطلنطى فعلا فى إعداد الخطط العسكرية والسياسية لمواجهة هذا (العدو) الجديد، كما بدأ الحلف فى إجراء حوار مع بعض نظم الحكم لوضع ترتيبات للأمن ضد (التهديد الإسلامى) تسمح بتدخل الحلف عسكريا لتصفية هذه الجماعات.. وعلى مدار السنوات الماضية قصفت الطائرات الأمريكية عدة دول إسلامية فى إطار هذه السياسة، ومن هذه الدول: لبنان، وإيران، والسودان، وليبيا، وأفغانستان، قبل أحداث ١١ سبتمبر، ولم تكن هذه الاعتداءات العسكرية الأمريكية مخالفة للقانون الدولى فقط.. ولكنها كانت رسالة اعتداء أثارت الكراهية لأمريكا بين شعوب هذه الدول، وزاد من هذه الكراهية سقوط المدنيين قتلى دون أن تكون لهم يد فى أعمال التنظيمات الإرهابية التى تريد أمريكا القضاء عليها، وفى النهاية أثبتت السياسة الأمريكية فشلها، لأنها أرادت حل المشاكل بالحرب، بينما هذه المشاكل فى الأساس مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية، وأى هجوم عسكرى لن يحقق شيئا للقضاء على هذه المشاكل، ولكنه يؤدى قطعا إلى القضاء على أعداد من المسلمين المدنيين، وهدم بعض ما تعبوا فى بنائه، وهدم ما هو أهم: جسور الثقة بين المسلمين وأمريكا!

▣ ▣ ▣

ويصل ستيفن زونز أخيرا إلى وضع تصور لسياسة خارجية جديدة لأمريكا، لمواجهة التهديدات من الحركات الإسلامية الراديكالية-التى كانت تدين بالولاء

لأمريكا فى بداية نشأتها-والآن ليس أمام أمريكا إلا أن تعمل على تغيير الظروف التى أدت إلى نشأة هذه الجماعات، وقبل ذلك على أمريكا عند وضع سياستها الخارجية أن تفرّق بين الإسلام والمسلمين، وبين المسلمين والإرهابيين، وتفرّق أيضا بين جماعات يمكن الحوار معها وجماعات يستحيل أن يكون الحوار وسيلة للتعامل معها، ولابد أن يدرك الفكر السياسى الأمريكى أن الحركات الإسلامية الراديكالية نشأت فى مناطق تعانى من مشاكل اجتماعية، نتيجة لما تركته الحروب من فقر وأزمات. أو نتيجة سوء الإدارة الاقتصادية لبعض البلاد، وإذا عملت أمريكا على مساعدة هذه الدول على تخطى حالة الفقر والتخلف، فإن ذلك سيكون أكثر نجاحا من التهديدات العسكرية فى تشجيع الاعتدال فى الدول الإسلامية، ويجب أن تتوقف الولايات المتحدة عن اعتبار أن الإسلام هو العدو، وبدلا من ذلك تمد يدها إلى العالم الإسلامى لتساعده على تحقيق التنمية والعدالة الاقتصادية والديمقراطية، ولكى تكون السياسة الأمريكية منطقية وعادلة فإن عليها أن تساند حق الفلسطينيين فى إقامة دولة فى الضفة وغزة، وحل مشكلة القدس بما يرضى الطرفين، ويمكن أن تكون عاصمة مشتركة لفلسطين وإسرائيل، وعلى أمريكا أن تدرك أن القرارات التى أصدرها الكونجرس لتأييد ومساندة احتلال إسرائيل للقدس الشرقية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، هذه القرارات تمثل الشرارة التى سوف تشعل الإرهاب مستقبلا، ولا يمكن القضاء على هذه الشرارة إلا بإنهاء الانحياز الأمريكى لإسرائيل انحيازا يجعلها تؤيد اغتصاب مقدسات المسلمين، فكيف تنتظر منهم أن يمدوا إليها يد الصداقة والاحترام؟.. ولاشك فى أن المسئولين عن صناعة السياسة الأمريكية يدركون جيدا أهمية القدس للمسلمين، والمسيحيين، واليهود، ولذلك يجب أن يكون وضع القدس لصالح الجميع وليس لصالح طرف واحد وعلى حساب مصالح وعقائد الآخرين، وأمام الولايات المتحدة الحل الأمثل، وهو الالتزام بدقة بالقانون الدولى، وبقرارات مجلس الأمن، والأمم المتحدة، والمجتمع الدولى الذى يعبر دائما عن عدم رضاه عن الانحياز الأمريكى، وإذا التزمت أمريكا بالانحياز للعدل والشرعية فإن ذلك كفيل بنزع سلاح التطرف، وإنهاء القضية المحورية التى تشعل الغضب عند المسلمين، وتعطى للجماعات الراديكالية مصداقية.

وأخيرا يرى ستيفن زونز أن الولايات المتحدة تمارس الضغوط على الدول الإسلامية لكى تغير سياساتها وتنفذ انقلابا فوريا فى النظم الاقتصادية القائمة فيها وتتحول إلى التحرر الاقتصادى بالكامل، وهى تعلم أن مثل هذه السياسة القائمة على تحرير الاقتصاد تؤدى إلى اختلال التوازن والاستقرار الاجتماعى، وتؤدى إلى زيادة النهم الاستهلاكى بالنسبة لهذه الشعوب المحرومة، ولن يتمكن اقتصادها من تحمل هذا الاندفاع نحو الاستهلاك، وإشعال التطلعات وزيادة أطماع القلة المحدودة من الصفوة فى الحصول على النصيب الأكبر من الثروة على حساب حرمان الأغلبية الفقيرة من الاحتياجات الأساسية.. وبدلا من هذه الضغوط نحو إطلاق الحرية الاقتصادية بدون ضوابط فإن من مصلحة أمريكا، ومن مصلحة هذه الشعوب أيضا، أن تساعد أمريكا التنمية الاقتصادية فى الدول الإسلامية، حتى يمكن توزيع فوائد الاستثمار الأجنبى والعولمة بشكل أكثر عدلا، وبثمن أقل من الاضطرابات الاجتماعية، ويمكن القضاء على الفكر الرافض، والمتمرد، والساخط، والغاضب، الذى يغذى الجماعات الإرهابية.

ومن رأى ستيفن زونز أن الفراغ السياسى الناتج عن فشل الأيديولوجيات التى كانت فى الدول الإسلامية مثل: القومية العربية، والماركسية، وغيرهما من الأيديولوجيات التى كانت تقدم للشعوب الإسلامية الوعود بالقضاء على أوضاع الظلم الاجتماعى، والفساد، والكبت السياسى، وسيطرة الامبريالية الغربية، وبعد أن فشلت فى ذلك، نشأ فراغ فكرى وسياسى، فظهر الإسلام السياسى ليملأ هذا الفراغ، ومن الإسلام السياسى ظهرت جماعات تبالغ فى التطرف، وكان على أمريكا أن تراعى حقيقة مهمة وهى أن وجود حركات إسلامية راديكالية تستخدم أساليب مرفوضة لدى الغرب، ليس معناه أن أسباب ظهور هذه الجماعات يجب إهمالها، وكانت الحكمة تقتضى من أمريكا مواجهة الأسباب المساعدة على تحسين أحوال الشعوب الإسلامية وتعتبر ذلك أفضل الوسائل للقضاء على الإرهاب فى العالم الإسلامى.

ويحذر ستيفن زونز من الخطر على أمريكا ذاتها نتيجة تجاهلها لمسئوليتها عن نشأة التطرف والإرهاب فى العالم الإسلامى أولا وتجاهلها للقضايا والأزمات التى أدت

إلى ظهور هذا التطرف وإيجاد الحلول العادلة لها ثانيا، وعدم إدراك أمريكا لأهمية دورها فى إعطاء الأمل للشعوب الإسلامية بدلا من التهديد والحرب ثالثا، قد يؤدى إلى أن تجد أمريكا نفسها فى اشتباك مع مجموعة من الصراعات قد تكون أكثر دموية من معارك الحرب الباردة الدموية التى أدت إلى تخريب العالم الثالث فى عقود سابقة، وقد تكون خسائر أمريكا أكبر!

هكذا يضع أستاذ العلوم السياسية الأمريكى تصورا لمسئولية أمريكا عن ظهور الإرهاب الإسلامى ومسئوليتها فى القضاء عليه ليس بالحرب، ولكن بالحلول الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبالاقتراب من العالم الإسلامى بيد المساعدة وليس بسلاح التهديد والإرهاب العسكرى الأمريكى، وبهدف إزالة الأسباب وليس مجرد إزالة الأعراض الظاهرة من الإرهاب.

▣ ▣ ▣

وهناك أصوات من العالم العربى والإسلامى قدمت تصورها للأزمة القائمة بين أمريكا والعالم الإسلامى بما لا يختلف عن تصور أستاذ علم السياسة الأمريكى د. ستيفن زونز. وعلى سبيل المثال فقد طرح الأمير السعودى طلال بن عبد العزيز هو الآخر تصورا متكاملا أمام مؤتمر كاتدرائية كانتربرى بالاشتراك مع البنك الدولى الذى عقد فى بريطانيا فى أكتوبر ٢٠٠٢ عن تطور الأديان.. وقال فيه: إن التحدى الأساسى الذى يواجهنا اليوم هو محاولة التكيف مع العولمة ومحاولة جعلها لصالح الناس جميعا، ولكن ما نراه حتى الآن لا يبشر بالخير، فالعولمة تحمل الفرص الهائلة، ولكن البشر لا يتمتعون بهذه الفرص بشكل متساو، وكذلك فإن مخاطر وخسائر العولمة ليست موزعة بشكل عادل، فالدول الفقيرة تزداد أحوالها سوءا، وتتحمل وحدها تكلفة العولمة دون أن تجنى من ثمارها إلا القليل،وهذا ليس من العدل فى شىء، ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر لتضيف مخاطر جديدة وأعباء ثقيلة على اقتصاد الدول النامية، وأدى ذلك إلى توقع أن تسود العالم دورة ركود طويلة، والسبب فى ذلك أن الولايات المتحدة هى قاطرة

الاقتصاد العالمى، والناتج القومى الإجمالى لها يمثل نسبة كبيرة من الناتج الإجمالى العالمى، والسوق الأمريكية هى أكبر سوق فى العالم على الإطلاق، وعندما تصاب بالركود فإنها تجر الاقتصاد العالمى وراءها، ولدى الاقتصاديين تعبير يقول (عندما تسعل أمريكا يصاب العالم كله بالزكام)!

وهذا ما حدث فعلا.. فقد دخل الاقتصاد الأمريكى فى الربع الأخير من عام ٢٠٠٠ مرحلة تباطؤ اقتصادى تجسد فى انخفاض مؤشرات البورصات الأمريكية، وانخفاض الطلب من المستهلكين، وانخفاض معدلات الاستثمار، ولم تنجح الجهود التى بذلت لإعادة مسار النشاط الاقتصادى إلى النمو مرة أخرى خلال الأشهر الثمانية الأولى من عام ٢٠٠١، فارتفع معدل البطالة فى أكتوبر ٢٠٠١ إلى ٥,٤٪ وهو أعلى معدل تصل إليه البطالة منذ خمس سنوات، وتعرضت قطاعات اقتصادية مهمة إلى خسائر فادحة يصعب تعويضها على المدى القصير، مثل شركات الطيران، ووكالات السفر والسياحة، والفنادق وتجارة التجزئة.

وتأثر اقتصاد دول العالم جميعا بآثار عاصفة ١١ سبتمبر وما تلاها من حرب أمريكية، وكان الأثر السلبى واضحا على حركة الاستثمارات، والسياحة والطيران، وغيرها نظرا للحجم الهائل للاقتصاد الأمريكى وتأثيره على اقتصاد العالم، وتشعب العلاقات التجارية الأمريكية، والحجم الهائل للاستثمارات الأمريكية فى جميع دول العالم.. ومن الطبيعى أن الدول النامية كانت المتضررة الكبرى من هذا الركود الاقتصادى الذى امتد من الولايات المتحدة إلى أوروبا وإلى اليابان، وكانت اليابان تعانى من الركود من قبل.

أما اقتصاد الدول العربية فكان الأكثر تأثرا بحالة الركود فى الاقتصاد الدولى، لأن اقتصاد الدول العربية مرتبط ارتباطا كاملا بالاقتصاد الأمريكى، وعدد كبير من الدول العربية يعتمد اقتصادها على تصدير النفط والغاز، أو الخدمات السياحية، أو قوة العمل، وإن كانت أسعار النفط قد ارتفعت نسبيا فإن ذلك لم يعوض الأضرار الجسيمة

التى أصابت اقتصاد جميع الدول العربية دون استثناء يضاف إلى ذلك ما أصاب الاستثمارات العربية فى الخارج من خسارة كبيرة.. وهكذا أصبحت الدول العربية والدول النامية عموما فى موقف لا تحسد عليه.. وبعد أن كانت بعض الدول العربية قد حققت نجاحا فى برامج الإصلاح المالى، فإن أحداث سبتمبر أعادتها إلى الوراء، وساعد القلق السائد فى الوضع السياسى العالمى على فقدان الثقة والأمان وهما أساس الانتعاش الاقتصادى.. وكانت النتيجة الحتمية تباطؤ النمو الاقتصادى فى الدول العربية من عام ٢٠٠١ حتى اليوم.

▣ ▣ ▣

ما تعانى منه شعوب العالم العربى والإسلامى سببه أمريكا.. أمريكا دائما هى السبب فى كل الآلام التى يشكو منها المسلمون والعرب.. وهى لا تمد إليهم يدها لتقدم لهم مساعدات كافية لتحسين الأوضاع التى كانت هى السبب فيها..

ونعود إلى تحليل الأمير طلال بن عبد العزيز، فهو يشير إلى الإجراءات الأمريكية التى اتخذتها لمكافحة الإرهاب، وحملت فى طياتها تهديدات واضحة للنمو الاقتصادى فى الدول العربية والإسلامية، ففى إطار تجفيف منابع تمويل الإرهاب قامت أمريكا بوضع العديد من الأشخاص والبنوك والمؤسسات العربية والإسلامية فى القائمة السوداء بحجة أنها منبع مالى لدعم الأنشطة الإرهابية فى العالم.. وأضافت إلى ذلك إجراءات للتضييق على العرب والمسلمين فى أمريكا، ووجهت الاتهام إلى بنوك وجمعيات خيرية فى العالم الإسلامى بأنها تمول الإرهاب، وكان لذلك آثار سيئة على الاستثمارات العربية والإسلامية فى الولايات المتحدة، ومعروف أن العرب يملكون استثمارات ضخمة فى الخارج، وقد صارت فى مأزق صعب بعد ١١ سبتمبر من الإجراءات الحكومية الأمريكية، بالإضافة إلى الخسائر التى لحقت بها نتيجة الهزة الاقتصادية فى أسواق المال الأمريكية، وأضاف ذلك أعباء أخرى على اقتصاد الدول العربية والتهديدات الأمريكية بالتوسع فى الحرب ليشمل دولا أخرى يحمل مزيدا من

الأخطار على الأوضاع الاقتصادية فى الدول العربية، ولا يخفى أن الحرب التى تريد أمريكا إشعالها فى المنطقة العربية تتطلب نفقات عسكرية هائلة ستؤثر حتما على الاقتصاد الأمريكى وعلى اقتصاد الدول التى تشارك فى تمويل الحروب الأمريكية، وسوف يؤثر ذلك على الدول النامية-خصوصا الدول العربية والإسلامية-وسوف تعانى هذه الدول الأمرين من حالة ركود أشد.

وهكذا-كما قال الأمير طلال-فإن الدول العربية والإسلامية لم تتوقف معاناتها على الضغوط السياسية، والخسائر المعنوية والسياسية نتيجة وضعها موضع الاتهام، إنما تعرضت لضغوط ومشاكل اقتصادية وما سوف تتعرض له سيكون أكبر. وهذه مفارقة تاريخية تستحق الانتباه، فالولايات المتحدة والدول المتقدمة تطالب الدول العربية والإسلامية بالإسراع فى التنمية الاقتصادية، لأن هذه التنمية هى الضمان لعدم نمو الإرهاب، وفى نفس الوقت فإن أمريكا هى التى تنفذ سياسات وتتخذ مواقف تعطل التنمية وتزيد التخلف فى العالم العربى والإسلامى.

وإذا كانت أمريكا تريد حقيقة عدم تكرار أحداث ١١ سبتمبر الأليمة، فإن عليها نزع فتيل أسباب الكراهية لها التى تصل إلى حد الكراهية المدمرة، وأسبابها معروفة وتتلخص فى الانحياز الأمريكى لإسرائيل، وإحساس المسلمين بعدم مراعاة أمريكا لحقوقهم، مع حالة الفقر الجاثم على الصدور كالكابوس والتى أصبحت مشكلة المشاكل فى العالم الإسلامى فى ظل العولمة التى تقودها أمريكا.. والفقر والإحساس بالظلم هما-دون شك-من المنابع الرئيسية للشعور بالسخط، وظهور الرغبة فى التدمير والانتقام، وكيف نلوم من يعيشون فى الأركان المُهَمَّشةِ من العالم، ولا يزيد دخلهم على دولار واحد يوميا، وعددهم يزيد على مليار إنسان؟.. كيف نلومهم إذا شعروا بالحقد والرغبة فى الانتقام من العولمة التى تهمل أبسط حقوقهم الإنسانية وتتركهم نهبا للفقر والمرض؟.. عندما عقدت القمة العالمية حول التنمية فى جوهانسبرج بجنوب أفريقيا فى سبتمبر ٢٠٠٢ وقيل إنها ستقدم اليد لمساعدة المحرومين والفقراء لم تقدم سوى مزيد من التأييد للجشع الرأسمالى وللمصالح الذاتية وكان ذلك مأساة جديدة للفقراء وللبيئة

فى العالم الإسلامى على وجه الخصوص، وذهبت أدراج الرياح النداءات لكبار الشركات ورجال الأعمال فى العالم لتوجيه الاستثمارات إلى الدول الفقيرة، وكان الانطباع لدى الدول الفقيرة أن الدول الغنية قد تخلّت عنهم!

والآن يعيش المسلمون الأمريكيون فى حالة من الخوف تدفعهم إلى الاختفاء بعيدا عن العيون بقدر الإمكان لتفادى الإيذاء، مما اضطر الناشط الإسلامى الدكتور ماهر حتحوت كبير مستشارى مجلس العلاقات العامة الإسلامى، -وهو كما يقول الأمريكيون أنفسهم مسلم معتدل- إلى دعوة المسلمين إلى الخروج إلى الحياة العامة ومواجهة الاتهامات التى توجه إليهم، وقال: حان الوقت للوقوف وإعلاء صوتنا، وعلى المسلمين المعتدلين فى أمريكا أن يستعيدوا دينهم، ومع ذلك عندما قتل صحفى أمريكى فى باكستان فى فبراير ٢٠٠٢ وجهت الاتهامات إلى كل المسلمين فى أمريكا وفى العالم بأنهم لا يحترمون حق الصحفى فى العمل ولا يفهمون معنى حرية الرأى وحصانة الصحفيين، واضطر مسلمو أمريكا مرة أخرى إلى تقديم الاعتذارات نيابة عن باكستان.

وفى عدد ٢٧ يناير ٢٠٠٢ كتب برنارد لويس مقالا بعنوان (الخطأ فى علاقة الإسلام والغرب) قال فيه: إن سر الأزمة أن الإسلام جامد يرفض التعامل مع متغيرات العصر وأهمها العولمة الاقتصادية، والديمقراطية السياسية، والتعددية فى الرأى والمسلمون رافضون للتواصل مع الغرب، ورافضون لكل ما هو عقلانى وعلمى، ورافضون للمخترعات التكنولوجية الحديثة، ويعيشون فى أوهام مجدهم القديم، ويفضلون الحياة فى أحلام اليقظة على الحياة فى الواقع، كما يفضلون البقاء فى حالة التخلف بدلا من العمل على اللحاق بما فى العالم من تقدم حضارى، وتطور صناعى وأشكال راقية لممارسة الديمقراطية بدأت فى بريطانيا منذ عام ١٧٦٠ وتبعتها فرنسا ثم أمريكا ومازال المسلمون بعيدين عن هذه الديمقراطية..

وينتقد برنارد لويس الإسلام لأنه يخلط بين الدين والدولة، ويجعل النظام السياسى نظاما إلهيا مع أنه نظام إنسانى قابل للنقد وللتطور والتغير.. والمسلمون -فى

نظره-عاجزون عن التعامل مع العالم المتحضر. عاجزون عن المساهمة فى التقدم العلمى والحضارى والثقافى.. عاجزون عن الابتكار والإبداع والاختراع..عاجزون عن معرفة كيف يبدع الآخرون.. وعاجزون عن معرفة كيفية الاستفادة من إبداعات واختراعات وعلوم الآخرين!

ويقول برنارد لويس: إن الأصوليين الإسلاميين لهم منطق غريب وغير منطقى، فهم يرجعون أسباب تخلف المسلمين إلى ابتعادهم عن الدين الصحيح، بينما السبب الحقيقى هو تصور أن التدين يصنع الحضارة والتكنولوجيا، وبالتالى فالمسلمون لم يفهموا بعد ما صنعته الثورة الصناعية والثورة العلمية والمعرفية، ولن يتقدموا إلا إذا تخلوا عن كراهيتهم للحضارة الغربية واندمجوا فى النظام العالمى الجديد.

وما قاله برنارد لويس لا يختلف عما قالته رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر فى مقال لها فى الجارديان البريطانية يوم ١٢ فبراير ٢٠٠١..

كثيرون يهاجمون الإسلام.. ويتهمون المسلمين..

▣ ▣ ▣

هل من حق المسلمين أن يفكروا فى مستقبلهم فى ظل هذه الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية المؤلمة التى تتسبب فيها أمريكا؟.. وهل من واجبهم أن يشعروا إزاءها بالحب لأمريكا؟..

نعود إلى تحليل الأمير طلال-وهو صوت يعبر عما فى صدور العرب والمسلمين-فقد قال أمام حشد من المسئولين والمفكرين والقادة فى مؤتمر البنك الدولى: إن المشهد العالمى يثير توقعات غير إيجابية تجاه المستقبل.. فالعرب والمسلمون يدينون بقوة الاعتداءات على الولايات المتحدة.. لكن امتداد الحرب الأمريكية سوف يدفع العالم نحو نفق مظلم، وسوف تتلاشى آمال الدول النامية والفقيرة فى تحقيق النمو الاقتصادى.

▣ ▣ ▣

هل هناك مخرج أمام الدول العربية والإسلامية من هذا المأزق؟.

مع الأسف، فإن أمريكا لا تفكر إلا فى الحرب.. وتوجه النفقات الهائلة لتمويل الحشود العسكرية.. وماذا تتوقع أن تكون النتيجة؟.

ستكون النتيجة بلاشك مزيدا من الكراهية..

ولو كانت السياسة الأمريكية تدار إدارة حكيمة لقامت بتوجيه هذه المليارات لتخفيف ديون الدول الأكثر فقرا لكى توجه مواردها للتنمية وتساعد بذلك أيضا على الخروج من حالة الركود الاقتصادى الذى يزيد الأزمات الاقتصادية فى الدول التى لم تعد تحتمل المزيد منها، وبذلك فإن سياسة أمريكا لن تؤدى إلى القضاء على الإرهاب بالحرب، ولكنها ستؤدى إلى زيادة الإرهاب، وإلى زيادة إنفاقها على الأمن لحماية أرضها ومصالحها فى الخارج من أحداث إرهابية جديدة لا أحد يعرف أين.. ومتى.. وإلى أى حد؟..

▣ ▣ ▣

والولايات المتحدة تعتبر العرب والمسلمين هم الجناة فى أحداث ١١ سبتمبر، بينما أصبحوا هم المجنى عليهم، ونزلت بهم إجراءات العقاب الأمريكية كالصواعق من تجميد الأرصدة، إلى معاملة من يدخل أمريكا من العرب والمسلمين متهما يخضع للتحقيق وللرقابة فى تنقلاته واتصالاته.

ولأن الذى يقود أمريكا هو التيار اليمينى شديد التطرف فإن سياسات أمريكا سوف تؤدى إلى نشر المزيد من التطرف.

الفقراء سوف يزدادون فقرا.. ولن ينسوا أن أمريكا هى السبب..

والمظلومون سوف يزدادون معاناة من الظلم ولن يغفروا لأمريكا دورها فى وصولهم إلى هذه الحالة من المهانة.

والعرب والمسلمون يشعرون بأن أمريكا تتخلى عنهم، وتعمل ضد مصالحهم وسيؤدى ذلك إلى ظهور تيارات أكثر تطرفا من التيارات الموجودة الآن.. وسيظهر إرهاب أكبر وأكثر تنظيما وحذرا.

وسوف يجد آذانا صاغية فى العالَيْن العربى والإسلامى من يقول: إن أمريكا تكرهنا ويجب أن نكرهها..

وهذا شىء خطير.. لا تريده أمريكا.. ولا يريده العرب والمسلمون طبعا..

والأمر فى يد أمريكا..

بيدها أن تساعد على أن يصبح العالم العربى والإسلامى أرضا للملائكة.. وبيدها أن تجعله ساحة للشياطين.

obeikandl.com